



في الشرق والغرب

اي في انطاكية واورشليم والاسكندرية ورومة

بقلم نصرالله نصرالله (النيك)

مأثراً : كيفية ممارسة الصوم

ان تبين الكنائس المختلفة في ممارسة الصوم كان اعظم منه في عدد الايام. وعليه يجب ان نبذل قصارى الجهد لبيان كيفية ممارسة الصوم عند كل من هذه الكنائس ، تبين الخطة التي تبناها حتى الآن .

وقبل الشروع في هذه الناحية من الموضوع ، يحسن بنا القول ان الكنائس التي كانت تدمج الصوم الفصحي بالصوم الاربعميني ، والتي كانت تفرز احدهما عن الآخر ، كانت تمارس تقشفات اشد صرامة في الصوم الفصحي ، ولا سيما اليومين الاخيرين منه اي الجمعة والسبت . وسبب ذلك انه لم يكن غير الصوم الفصحي في مطلع القرن الرابع (وهو يمتد الى يومين او اربعين ساعة او اكثر حسب الكنائس) وهي الايام التي اشار اليها المخلص في الانجيل : « ومتى ارتفع المروس عنهم فحيثئذ يصومون » .

وعليه رجب علينا في هذا الدرس ان نذكر التقشفات المتممة في الصوم الاربعميني وفي الصوم الفصحي في كل كنيسة .

والتقشفات التي تخص الطعام على نوعين : منها الامساك عن الطعام الى وقت محدود من النهار ، ومنها الامتناع عن اكل بعض الاطعمة .

٥ - في انطاكية

كان يُقتصر على وجبة واحدة في النهار ، وحسب عدة نصوص من الذهبي الفم تكون هذه الوجبة عند الماء^(١) . لكن *La Didascalie* ينص على ان الصوم ليس الزامياً الا الى الساعة التاسعة ابي الثالثة بحد الظهر^(٢) . على ان هذا التصريح لا ينص من شهادة الذهبي الفم :^(٣) لان موضع تأليف هذا الكتاب لا يُعرف بالتحقيق ، وهل هو يتكلم عن عوائد انطاكية او عن غيرها ، فجل ما نعلمه ان كاتبه كان اسقف بلدة كبيرة من سورية العليا^(٤) . لا يمكن تبديل العوائد على مرور الزمن . واما تصريح «الديساتير الرسولية»^(٥) فلا يسمن ان تتحقق منه ، حسب ظننا ، ساعة الوجبة المحددة ، اقله اللذين كان الصوم عليهم اجبارياً لانه غير واضح .

اما الصوم المتبع في جمعة الآلام (الصوم النصحي) فلم يقع فيه شي . من التبديل حتى الخميس بعد الظهر ، وفي اليومين الاخيرين منه ، فالمشهور ان المسيحيين كانوا يباتون في التقشفات ، فيمتنعون عن كل طعام من ماء . الخميس حتى فجر الاحد . وكذلك يتبين جلياً من نص «الديساتير الرسولية» : «الجمعة والسبت تمتنعون بتاتا عن الطعام مواصلين الصوم حتى صياح الديك من ليلة الاحد»^(٦) ومن *La Didascalie* : «الجمعة والسبت تصومون صوماً كاملاً ولا تدوقون طعاماً البتة . اجتمعوا كلكم ، لا تسلموا للنوم ، احبوا الليل في الصلوات والتضرعات وقراءة الانبياء والانجيل والمزامير بحجوف ورعدة وتوسلات غير

Homel. IV ad Pop. Ant. ; Bareille, II vol. p. 53 — *Homel. IX ad Pop.* (١)
Ant. 6 ; P. G. t. XLIX col. 68 — *Homel. X sur la Pénitence* 1 ; Bareille II
vol. p. 274. — Cf. S' Basile, *De Jejunio, homel. I*, 10 ; P. G. t. XXXI col. 181.

Op. cit. p. 120. (٢)

Cf. Tixeront, *Précis de Patrologie*, p. 123. (٣)

Lib. V, cap. 18 ; Pitra, *op. cit.* p. 288. (٤)

Lib. V, cap. XVIII, XIX ; Pitra, *op. cit.* p. 288 — Lib. V, cap. XV ; (٥)

Pitra, *op. cit.* p. 284.

منقطمة الى الساعة الثالثة من الليل الذي يلي السبت، فحينئذ تنهون صومكم»^{١٥}
وهذا القول يباد سراراً في الصفحات التالية.

ويلاحظ لنا ان الصومين الاربيني والفصحى في الكنييسة الانطاكية كانا يارسان بصرامة متماثلة من جهة القاطعة. ففي الجمعة المقدسة، كان المسيحيون ينقطعون عن كل ما كور سوى الخبز والفواكه اليابسة وهذا ما يدعى (Xérophagie)^{١٦} والاطعمة المحظورة هي اللحم، والسك، والبيض، والحليب، والسمن، والخبز، والحمر، والزيت. واننا نستدل من نصوص يوحنا قم الذهب ان الانطاكيين في عصره كانوا يمتنعون عن جميع هذه الاطعمة: لحم الطيور والاسماك (Homel. III ad Pop. Ant. 5, P.G.t. XLIX, col. 53) ولحم الانعام (P. G. t. XLIX, col. 53) «وبكلية لحم، يقول ثاكندار، يفهم الآباء عادة كل ما يولف الحياة الحيوانية وكل ما يخرج منها. فالبيض والحليب وكل ما يُتخرج منه كانت ولا يد مشنولة تحت هذه التسمية»^{١٧}. لنطبق هذا المبدأ على الكنييسة الانطاكية. وحسب قول الذهبي القم ان الانطاكيين كانوا يمتنعون ايضاً عن الحمر والزيت^{١٨}. وهذا النظام هو الذي كان مرعياً عند عامة الانطاكيين. مع ذلك كان يوجد من يقتصرون على تناول الخبز والماء فقط^{١٩}.

٢ - في اورشليم

ليس لنا شهادات صريحة تبين الوقت الذي كان فيه مسيحيو اورشليم يتناولون وجبة الصوم فالقديس ايفانيوس يقول^{٢٠} ان الصوم لا ينتهي الا عند

(١) Didascalie p. 120.

(٢) Const. Apost. Lib. V, c. XVIII; Pitra, op. cit. p. 288.

القديس ايفانيوس يفهم xérophagie بالامتناع عن كل ما كور ما عدا الخبز والملح والماء (Haeres. I. III. Expos. Fidei c. XXII; P. G. t. XLII col. 828)

(٣) Dict. Théol. Cath. art. Carême, col. 1733.

(٤) Homel. IV, ad Pop. Ant. 6; P. G. t. XLIX, col 68. - Homel. 6^e sur la pénitence; Bareille p. 274.

(٥) S' J. Chrys. : Homel. II, ad Pop. Ant. 6; P. G. t. XLIX, col. 68.

(٦) Exp. Fidei, c. XXIII, P. G. t. XLII, col. 829.

الماء . ولكن لا ندرى هل هو يتكلم عن عادة وطنه (لانه فلسطيني نشأ في فلسطين وسُقِّف على قبرس) او يجزء عمّاً كان يجري في ابرشيته . واتيريا لا تشير في سياحتها الى هذا الموضوع . نعم انها عند ما تتكلم عن « stations » ، اي صوم الاربساء والجمعة ، تقول ان الصوم كان ينتهي الساعة التاسعة ^(١) . افيكنتنا ان نستتج ان شريعة الصوم الاربيني هكذا كانت ؟ لا يبدو لنا ذلك لانه ، كما يقول العلامة دوشين ، « ان صيامات « Stations » لم تكن من الصيامات الكبرى ولم يُجاوز فيها للساعة التاسعة » ^(٢) .
والكنيسة الاورشليمية كالكنيسة الانطاكية كانت تنهي الصوم الفصحي الاحد صباحاً ^(٣) .

ومخصوص القطاعة ، كان جارياً حسب قول القديس كيرلس الامتناع عن اللحم ^(٤) ، ومن ثمّ عن البيض والحليب وكل ما يُستخرج منه ، حسب التنبيه الوارد سابقاً . واخيراً عن الحمر ^(٥) . وان اتيريا في سياحتها تشير الى القطاعة ، والقطاعة التي تتكلم عنها هي التي يصل بها فقة . من المسيحيين المفالين بالتقشفات والذين يدعون Apotactites ، لا عامة المسيحيين ولذا لا يمكننا ان نجعلها عادة مألوفة عند الجميع . وهذه القطاعة كانت تقتصر على الطحين والماء . وتمتع الحبز والزيت والقواكه ^(٦) .

٣ - في الاكندرية وروية

يتعذر علينا التبسط في التفاصيل الدقيقة عن كيفية الصوم والقطاعة في

(١) Cf. Dom Cabrol : *Les Eglises de Jérusalem*, p. 135.

(٢) Cf. *Les Origines du culte Chrétien* p. 219.

(٣) S. Cyrille de Jérus. *Catech. NVIII*, n. 17 ; P. G. t. XXXIII, col. 1037.

(٤) *Catech. IV* ; P. G. t. XXXIII, col. 1010.

(٥) *Catech. IV* ; P. G. t. XXXIII, col. 490.

حسب قول فونك (Funck) كان امرأ مندوباً لا واجياً ، وجذا يضر اقاويل الآباء . كالفديس كبرئس الاورشليمي والقديس بايلوس وغيرهم .

(٦) Cf. Mgr Duchesne : *Les Origines*. p. 471-482. - Cabrol, *Les Eglises de*

Jérusalem, p. 138.

هاتين الكنيستين ، اذ ايس لدينا يثبت اكيده مأخوذة من القرن الرابع ولربما
 يأتينا بعض المتبحرين في علم التاريخ الكنسي فيميط التقاب من هذه الحقيقة .
 لكننا نستطيع القول ان القطاعة كانت تتناول لحوم الانعام واصناف الجليب .
 اما لحوم الطيور والاسماك فلا يمكننا ان نبت بمشها ، لان الكثيرين
 كانوا ، حسب قول سقراط ، يأكلونها ^(١) ، لان لحومها لا تعتبر كالحوم سائر
 الحيوانات ملفية الصوم . وذلك لان السمك يعيش في الماء ، والطيور ، كما جاء
 في سفر التكوين ، اصلها مائي .

وايضاً لا يمكننا ان نمخذ ساعة تناول وجبة الصوم اهي التاسعة ام بعد غروب
 الشمس . فان القديس ايبانيوس يقول : « ان ستة ايام الآلام تسمى Xérophagie .
 لان جميع الشعوب تقتصر فيها على المآكل الجافة ولا يؤكل الا عند الماء .^(٢) ... »
 لكن تصريح هذا القديس شامل كئاش كثيرة فلا يسنا تخصيصه باحداها .
 على انه يمكننا الجزم بامتناع مسيحي رومة عن الطعام الجمعة والسبت
 حتى فجر الاحد ، حسب نص ديونيسيوس رئيس اساقفة الاسكندرية في رسالته
 الى باسيليد ^(٣) . وبجلاف ذلك في الكنيسة الاسكندرية كان الصوم ينتهي في
 صلاة غروب السبت العظيم حسب تصريح القديس اثاناسيوس ^(٤) .

لقد عرفنا بوجه عام عوائد كل كنيسة ولم تكلم عن التفشقات الخاصة
 التي كان يمارسها بعض فئات من المؤمنين مثل الـ « Hebdomadiers » الذين
 تكلمت عنهم اتيريا ^(٥) وللمدين كانوا يصومون كل ليام الاسبوع دون طعام
 البتة . والـ « Apotactites » الاولى كانوا في مدار السنة كلها لا يتناولون
 الا وجبة في النهار ، وذلك عندما يأكلون . ومن كان من الاولين لا يستطيع
 صوم الاسبوع بكامله كانوا يفطرون يوم الخميس ، والبعض يأكلون كل

Exp. Fulcr, c. XXII, P. G. t. XLII, col. 828. (٣) H. E. V, 22. (١)

Cf. Pitra. op. cit. P. 541. (٣) وهذا التصريح من ديونيسيوس يرتبنا حسب اختلاف

المؤمنين في اعاتهم الصوم السبت ما . او الاحد صباحاً ، وذلك وقت قيامة المسيح . فالبعض
 كانوا يرتأون ان المخلص قام بعد غروب شمس السبت ، وغيرهم يعتقدون انه عند غلى

الاحد . Lettres festales ; P. G. t. XXVI, col. 1389. (٢)

Cf. Les Origines du culte Chrétien, p. 481-482. (٥)

يومين^{١٠} . وكان كثير من هؤلاء الابطال لا في اورشليم فحسب ، بل في كل كنيسة . فالتدس ارغطينوس يجبرنا عن شخص طوى الاربعينية بكاملها دون طعام^{١١} . وكذلك القديس ايرونيوس^{١٢} والقديس ايقانيوس^{١٣} ، والقديس يوحنا فم الذهب^{١٤} .

وما عدا هذه التشفات التي اشرنا اليها بما يتعلق بالطعام ، يوجد غيرها كانت مألوفة بين المسيحيين عامة - وبقولنا عامة غمز بعض فئات كالموعوظين الذين لهم عوائد خاصة .

فمن هذه الاعمال نخص بالذكر عفة المتزوجين ، والاحجام عن الاعراس ، ومنع المآذب والولائم ، والانتطاع عن الالاب العامة وحضور المراسم ، والتوقف عن متابعة الدعاوي الجنائية ، والحكم بالموت .

ففة المتزوجين قد حرض عليها القديس تيموثاوس الاسكندري^{١٥} والقديس باسيليوس^{١٦} والقديس ارغطينوس^{١٧} . اما الاعراس فقد نهى عن اقامتها مجمع اللاذقية Laodicée في قانونه الثاني والحسين . وفي ٢٧ مارس سنة ٣٨٠ اذاع غراسياتوس وثاودوسيوس^{١٨} شريعة يأمران بها بتأجيل اجراء الدعاوي الجنائية في الاربعينية السابقة للفصح^{١٩} .

والى هذه الاعمال يمكننا ان نضيف غيرها كالعزلة والصلوات التامة ، واسطاف البائسين ، والاعمال الصالحة والصلوات^{٢٠} .

بقي لنا كلام وجيز عما يفسخ الصوم وعن الشخص المكلف به . فنجتري

Cf. Dom Cabrol. *Les Eglises de Jérusalem* p. 135-136. (١)

Epist. XXXVI, ad Casulanum 19 ; P. L. t. XXXIII, col. 1481. (٢)

Expositio Fidei, 22. (٣) *Epist. XXIV, n° 4.* (٤)

Homel. IV ad Pop. Antioch., Bareille II, p. 53. (٥)

Rép. Canoniques ; rép. XXXIV, Pitra, op. cit. p. 637. (٦)

D. Jejunio, homel. 1 ; P. G. t. XXXI, col. 184. (٧)

Serm. CV, CVIII, CIX, CX. (٨)

Cod. Theod. L. IX, titr t. XXXV, leg. 4. (٩)

Cf. *Dict. Archéol. et Liturg.*, art. Carême, par Vacandard col. 2151-2152. (١٠)

Cf. *Dict. Arch. et Liturg.*, art. Jeûnes par Dom Cabrol, col. 2491 (١١)

بايراد ملخص ما جاء في معجم الطاديات والليتورجية المسيحية .
يقول كابرول ان الصوم هو الامتناع عن كل طعام . ففي احقاب الكنيسة
الاولى كان الصوم يُفهم بالاطلاق وبتقضي الامتناع عن كل شراب حتى عن
الماء غالباً . ويجب ان نتذكر ان الذبيحة الالهية كانت تقام ابان الصوم عند
المساء ، فالذين يتناولون كانوا ينقطون عن كل طعام الى هذا الوقت . ولدينا
نصوص تبرهن على انه يجب الامتناع عن كل مشروب ، كما عن كل مأكل ،
في الاربينية وايام الصيامات الكبرى^{١١} . « وكانت صرامة الصوم والقطاعة في
الاجيال الاولى ، على قول فاكندار ، شديدة حتى اننا نستطيع ان نتساءل هل
كان جميع المؤمنين يستطيعون احتمالها . فبدئياً كانت شريعة ملزمة كل شخص
معتد، وفي القديم لم يُفمنها لا العملة ولا الشيخ ولا الاولاد اقله الاحداث^{١٢} .
هذا مبدئياً، لكن عملياً كان يوجد بعض التفيحات كما يتبين من بعض نصوص
قول الدساتير الرسولية : « الجمعة والسبت لا تتناولوا طعاماً البتة . . . وان
عجز البعض عن تحمل هذه المحنة فليصوموا اقله من السبت حتى الاحد . »^{١٣}
وكذلك يقول القديس تيموثاوس الاسكندري مستنداً الى هذا المبدأ ان الصوم
رسم لتذليل الجسد^{١٤} فمتدما يكون الجسد مذلاً في المرض فلا حاجة به الى
الصوم والقطاعة . وهكذا نرى هذا الاسقف القديس يضي الشيوخ . (Rép. 33°)
Pitra, op cit p. 637) والمرضى (Rép, 10°, Pitra, p. 632) والنساء المرضعات
(Rép. 31° , Pitra, p. 631) وجميع الذين يتعدر عليهم الصوم (Rép. 31°)
Pitra, 31°, op. cit p. 637)

هذا ما تمكنا من الوقوف عليه في هذا الموضوع . وليعذرنا القاري ان لم
نستطع ايضاً . حقه ، وذلك لعدم وجود مصادر كافية لدينا توقفنا على جميع
اطراف هذا البحث الدقيق الواسع .

Cf. Dict. Arch. et Liturg., art. Jeûnes, par Dom Cabrol, col. 2485. (1)

Cf. Dict. Arch. et Liturg., art. Carême, par Vacandard, col. 2151. (2)

Const. Apost. : L. V, C. XVIII, XIX ; Pitra, op. cit. p. 288. (3)

Sa 8° réponse canonique. Pitra, op. cit p. 631. (4)